



طبعة ختم اسطواني على جرة فخارية. يتألف المنظر من شكل الآلهة عناة، والآلهة حدد وهما في حالة وهب الحياة لأحد الأمراء الإبلانيين حوالي (1725 - 1750) ق.م.

الآلهة الكبار:

1 - دجن او (داغان) : لقد امتدت منطقة عبادة هذا الآله الكبير على مناطق واسعة من سورية. وكانت إبلا وماري وترقة (تل العشارة) وتوتول (تل البيعة قرب الرقة) من اقدم مراكز عبادته في الالف الثالث قبل الميلاد، كما شملت ايضاً مناطق واسعة من بلاد الشام وما بين النهرين، وقد كان دجن (داغان) اله مدينة (توتول) مشهوراً جداً، الى درجة انه كان يبجل ويقدر في إبلا بصفته «ملك توتول»، ووجدت مناطق عبادة لهذا الآله في كثير من المواقع الاثرية وسمي معبده في (ترقة) بـ «بيت راحة الموتى» و«بيت راحة البرد».

وكان الآله دجن (داغان) في سورية بمثابة اله الغلال، ونلاحظ انه يوضع في لائحة الهه سورية جنباً الى جنب مع كبير الهه السومريين «انليل» وبصفته الآله الحاكم الذي كان يلقب بـ «ملك البلاد» و«سيد الآلهة». اما زوجته فهي «شالاش» المساوية للآلهة «ننليل» زوجة «انليل». وابن (دجن) هو اله الطقس والانواء «حدد» المعبود فيما عدا ذلك ابن اله السماء، وفي احدى المرات سميت ابنته «عشتار».

وفي النصف الثاني من الالف قبل الميلاد، كان (دجن) مساوياً لاله الشعير الحوري «كوماري» - ابي الآلهة.

2 - الالهتان حبيات وعشتار : ان (حبيات) احدى الآلهات السوريات المقيمت التي قابلناها في إبلا، ويمكن ربط اسمها بـ (حدا) إلهة «الساقية». وقد اصبحت في النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد، (سيده ارض الارز) في لبنان، وكذلك إلهة مدينة حلب وكوماني واماكنا اخرى كثيرة، واصبحت فيما بعد زوجة الآله (تيشوب).

الا ان الزوجة الفعلية لإله الطقس، فهي ليست (حبيات) بل اخته، وهما في اوغاريت (رأس الشمرة) (بعل - عناة) وفي شمال بلاد الرافدين (حدد وعشتار) وعند الحوريين (تيشوب وشاوشكا)، اللذان يكونان زوجاً لصيقاً احدهما بالآخر...

وعشتار هي الآلهة الشهيرة رمز الجنس والعواطف والحرب والاضطراب، وبصفتهها الاقرب الى الذكورة كالهة حرب تظهر في السماء كنجمة الصباح وبصفتهها الاقرب الى الانوثة تظهر كنجمة المساء، وكانت عبادتها في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام اكثر شعبية من بقية الآلهة الاخرى.

ونسجل لعشتار دورها في تعرف علماء الآثار على موقع إبلا في (تل مردوخ) عام 1968 حيث عثر على تمثال بازلي نصف مقطوع الرأس عليه الكتابة المسارية التالية :

هذا الخوض تقدمه لمعبد الربة عشتار، من ابيات ليم بن اغريش حياً، ملك من سلالة إبلا... في السنة الثامنة لعشتار.

ومنذ ان تألق نجم إبلا، ادخل ابيات ليم هذا التمثال الى المعبد، من اجل حياته، وحياة بني، وسرّت عشتار بهذه التقدمة سروراً كبيراً.



تمثال طيني آخر يمثل الإلهة عشتار في إبلا.

3 - الإلهة اشخارا : تفيدنا ترجمات الرقم المسارية، ان اشخارا كانت الهه سورية قديمة، وقد قابلناها في مجموعة الآلهة في امبراطورية إبلا، حيث كانت طبيعتها مشابهة لطبيعة (عشتار) وبصفتهها الآلهة العليا في منطقة شمال سورية، فقد سميت في الاتفاق المصري الحثي بين رمسيس الثاني، وهاتوشيلي الثالث بـ «اشخار سيده الجبال والانهار في ارض الحثيين».

كان رمزها في العصر البابلي القديم، الافعى الاولى باشمو، وهناك مثلاً قسم كان يقدم باسم «افعى باشمو اشخارا» وبعد ذلك اصبحت العقرب رمزها الحيواني⁷.

4 - كورا وككّاب : وكان لهما دورهما الخاص والمهم في إبلا، حيث كانا يقومان بدور الشهادة على المعاهدات الدولية التي تعقدها إبلا مع المدن الاخرى، والشهادة كانت تعني، تنفيذ شروط المعاهدة.

5 - الآله دامو : يعتبر الآله دامو من اشهر الآلهة التي عني بها عامة الشعب، وقدموا لها القرابين الكثيرة، ونتيجة لحبهم له واهتمامهم به، فقد كان اسمه منتشرًا بكثرة مع أسماء الناس، وذلك تبركاً به، وكانت تدور حوله، وحول دموزي (تموز) والآلهة (غولا) الكثير من القصص ذات الصلة بالعالم السفلي.

7 - الآثار السورية، مصدر سابق (346 - 349).

. ترانيم واساطير :

لقد كشفت لنا ترجمات الرقم المسارية الابلائية على بعض الاناشيد والترانيم والاساطير، وهذه النصوص لا يمكن - حتى الان - القطع بشأنها، لان اكثرها لم يدرس بعد الدراسة الدقيقة الوافية. ولان الكثير منها مترجم عن اعمال سومرية اصلاً... لذلك لا يمكن تقييمها قبل ان تدرس دراسة مقارنة دقيقة، وعلى سبيل المثال : هناك اسطورة بطلاها اصلاً إلهان من الآلهة السومرية هما (انليل) و(وانكي)، وقد وجد علماء الآثار انه يصعب في المرحلة التي نحن فيها من دراسة الرقم المسارية، يقال بان محتوى الاسطورة هو إبلائي تماماً، او حتى الى اي درجة هو إبلائي جزئياً.

ترجمات الرقم كشفت لنا - حتى الان - نحو عشرين اسطورة، بعضها وجد في اكثر من نسخة واحدة، وهذه تلقي ضوءاً جديداً على الالف الثالث قبل الميلاد... والآلهة التي تتحرك خلال هذه الاساطير هي الآلهة السومرية الكبيرة مثل : انليل وانكي واوتو وانانا....

والسؤال الذي يطرح حول دور هذه الآلهة من حيث طبيعتها، هل ظلت سومرية ام اصبحت إبلائية؟! والى اي حد؟!

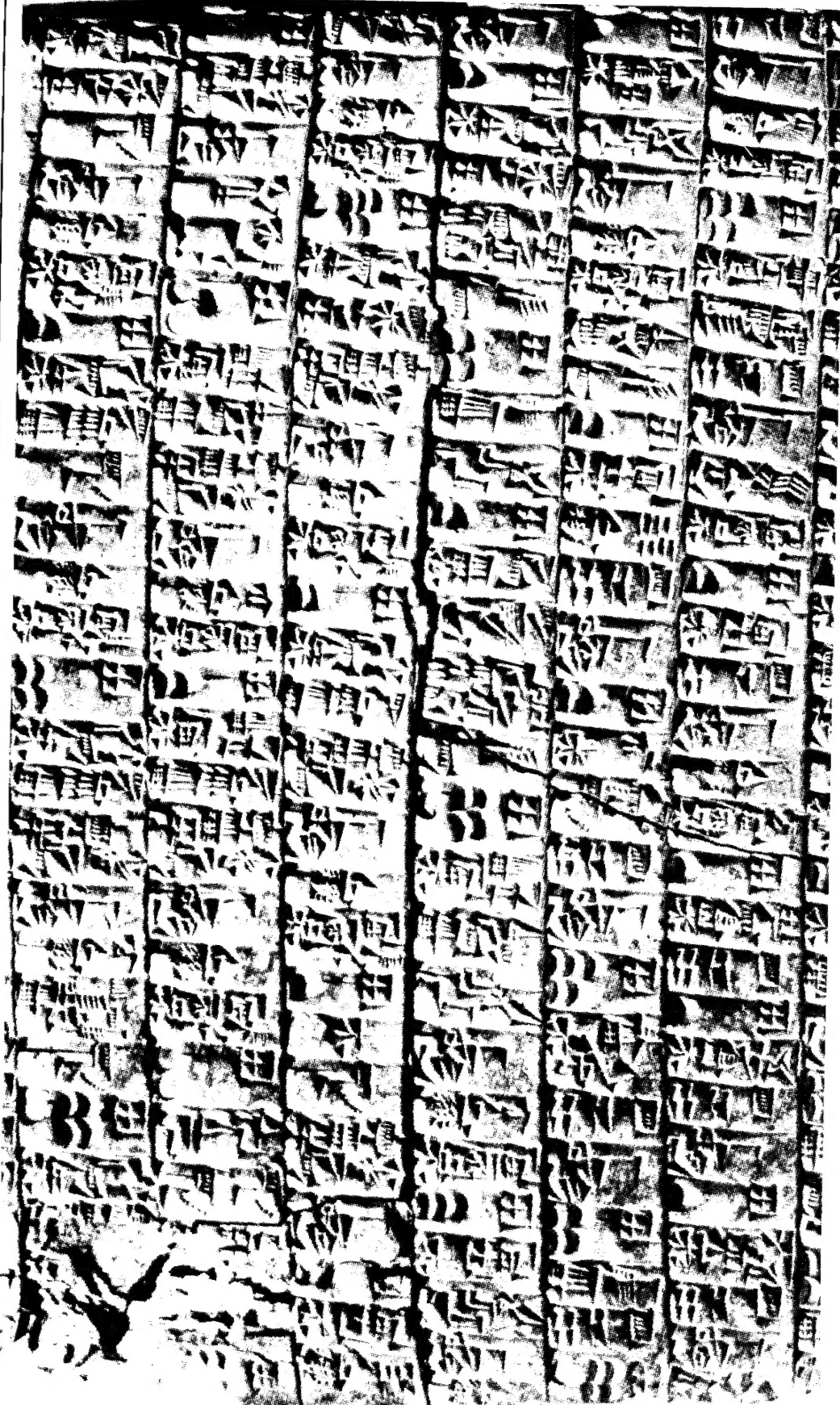
تحتوي هذه النصوص على ملاحم تروي قصصاً متنوعة، وعلى اناشيد للآلهة، ومن الاولى مثلاً : عثر على نسختين للمحمة «جلجامش» وهناك ما يشبه انشودة الخلق، وهي ابتهاج لسيد الارض والسموات، وفيها شيء من التقدم عن الوثنية التعددية التي عرفت في تلك الازمنة :

رب السموات والارضين :
- ان الارض لم تكن (موجودة) وانت خلقتها.
ان نور النهار لم يكن (موجوداً) وانت خلقتة،
لم يكن نور الصباح قد امرت بخلقه بعد،
ايها الرب (انت) الكلمة الفاعلة...
ايها الرب (انت) الرخاء...
ايها الرب (انت) البطولة...
ايها الرب...
ايها الرب (انت) الذي لا تمَل...
ايها الرب (انت) اللوهمية...
ايها الرب (انت) الذي ينجي...
ايها الرب (انت) الحياة السعيدة الابدية⁸.

لقد اثار هذا النص الابتهالي المتقدم الكثير من الاهتمام من قبل علماء الآثار واللغات القديمة، وخاصة عندما حاول «جيوفاني بتيناتو» الادعاء بوجود علاقة بينه وبين ملحمة الخلق في سفر التكوين، وقد رد عليه العالم الكبير الفونسو آركي بالقول ان جو النص يدور في كواليس سومرية، ومن الصعوبة بمكان عقد الشبه بينه وبين سفر التكوين، كما يدعي بتيناتو⁹.

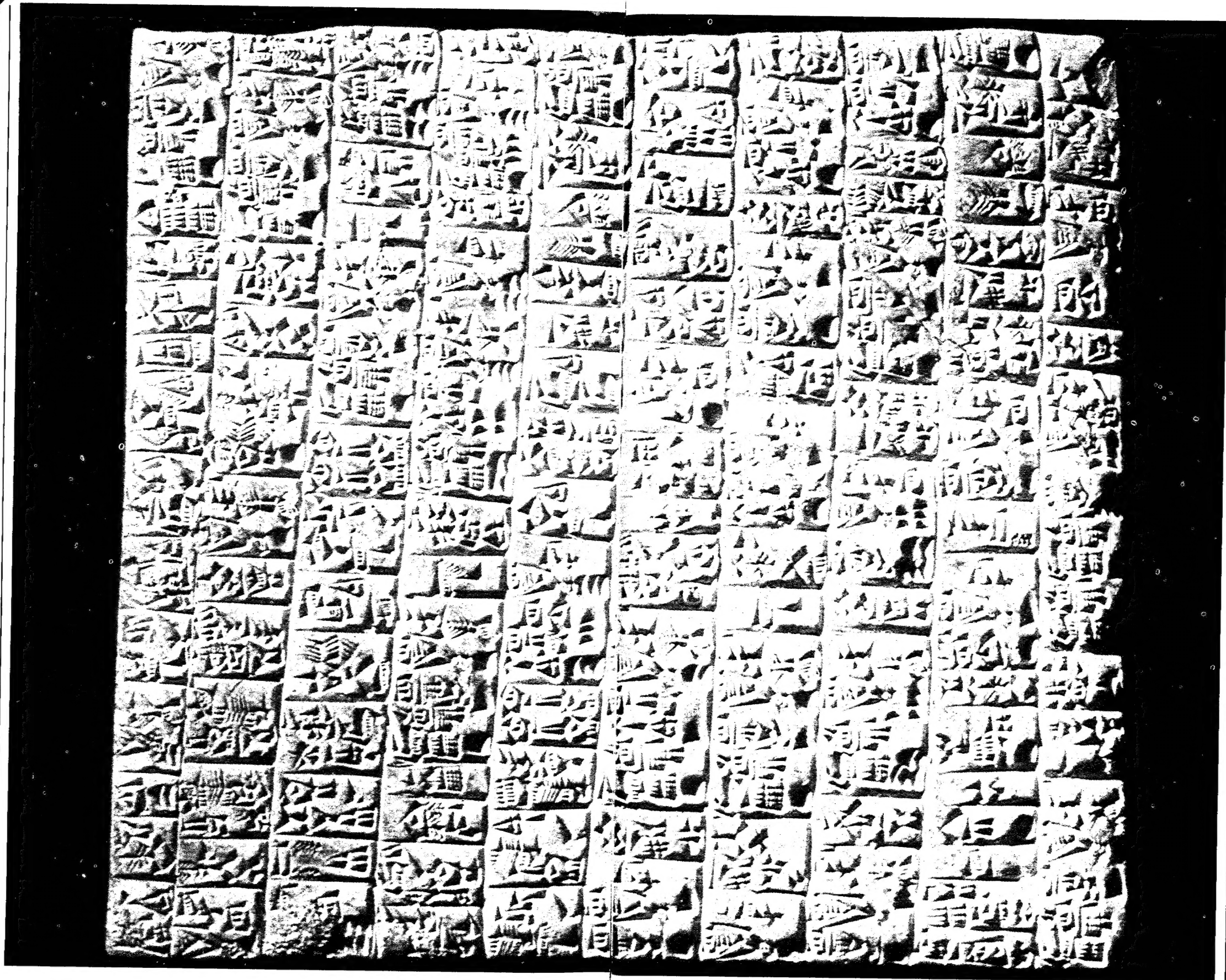
8 - انظر : G. PEHINTO : THE ARCHIVES OF EBLA, p. 95.

9 - الشواهد الكتابية في إبلا والتوراة، الفونسو آركي، مجلة بيليكا، العدد (60) ترجمة الاستاذ قاسم طوير، نشرت في كتابة إبلا، الصخرة البيضاء (ص 69).



رقيم مسماري من إبلا يتضمن قائمة بالهبات الشهيرة التي تقدم من القصر لآلهة المدينة.

آداب
إبلانية



الحديث عن الأدب الإبلائي ، باعتقادي ، لا يزال سابقاً لأوانه ، لأن أكثر الرقم المسماة المكتشفة لم تترجم ، ولم يعرف محتواها . . . كما أن النصوص الأدبية المصنفة لا يزيد عددها عن خمسة وعشرين نصاً ، مازالت الآراء متضاربة حول تفسيراتها وترجماتها ، وكان أول من درسها «ادزارد» عام 1984 في دراسته (الارشيف الحقيقي لابلا V Testi) وهناك لمحات بسيطة عرضها الفونسو آركي من محتويات هذه النصوص .

في البداية نقول ان الكثير مما يسمى (الأدب) وصلنا من مواقعنا الأثرية ، مثل الأساطير والحكم وغيرها كان يتناقل بالرواية الشفوية ، والواقع ان بعض تلك الآداب والاساطير التي وصلتنا ، مثل ملحمة «جلجامش» قد مرت في عملية تطور معقدة ، تمت خلالها على الدوام ، قبل ان تكتب في صيغتها النهائية ، وربما كانوا يقومون بالرواية الشفوية

من يتتبع نصوص الأدب القديم ، الذي اكتشفت نصوصه في إبلا وماري وأوغاريت وغيرها ، يجد بجلاء ، ان أكثر جوانبه ، إن لم يكن كله ، ممتلئ بالجوانب الدينية ، ومطبوع بطابع الايمان والهيمنة الدينية الواضحة ، وسبب ذلك يعود إلى أن العديد مما اكتشف من هذه النصوص مصدره أرشيفات كان يشرف عليها موظفو المعابد ، وهذا لا يمنع من وجود بعض النصوص الأدبية التي تتعلق مواضيعها بالأمور الدينية ، وخاصة ما يسمى بنصوص الحكم التي تربط الفولكلور والأمثال والنصائح السياسية ، ونصائح الزواج وغيرها ببعض . . . إلا أننا لا نعرف - حتى الآن - إلا القليل من أدب الحكمة السوري القديم ، مع أن بعضه متضمن أحياناً في الاساطير والخرافات¹ .

• أنشودة النجوم:

تعد هذه الانشودة «القصيدة» التي اكتشفت في القصر الملكي (G) في إبلا ، أكمل وأجمل النصوص الأدبية التي وصلت إلينا - حتى الآن - من الأدب الإبلائي وتعد برأي العلماء أقدم قصيدة عرفتها الإنسانية ، نظمها شاعر إبلائي ، لا نعرف اسمه - منذ ما يزيد عن أربعة وأربعين قرناً؟! وربما تكون أقدم من هذا العصر بكثير ، إذ انها قد تكون متناقلة من جيل إلى جيل ، حتى تم تدوينها في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد .



1 - الآثار السورية ، إصدار مؤسسة البريد الدولي للنشر فيينا ، (ص 352) .

لقد قام بترجمة الانشودة «القصيدة» العالم اللغوي «إدوارد» ونشرها في (ARET V) عام 1984 ، غير أنه اكتفى بإيراد اللفظ دون دراسة القصيدة ، دراسة أدبية أو لغوية كافية ، وقد قام الزميل حميدو حمادة ، الاختصاصي بقراءة الرقم المسامرية بمتحف حلب ، بتبيان صلتها بالأدب والنحو العربي² .

تبدأ الانشودة الابلائية بالعبارات التالية :

«اصمد خبجي ،
اصمد لسانم ،
اصمد دخر سينم ،
اصمدك على ابنيم صلميم ،
علّ زيدان أمان ،
أصمدك علّ زنبات شمش
لابنم يلبن ، لبتم
علّ بابي إنليل أبي إيلي
وككب»

هذه العبارات ابتدأ الشاعر انشودته ، وفيها نجد بأن الشاعر قد نذر نفسه ، أن يضع أمام محبوبته كل خوافي نفسه ومشاعره ... كل تعابيره الشعرية ، وكل ما ذخره من قوت لأيام شدته ...

إنه سينحت «مثالا» من الصخر الاسود ، وسيضعه في مكان مرتفع ، وسينقش اسمه على فؤوس المحارين ، وسيكتب على بابي الإله إنليل عبارات التمجيد ، وعلى أزيال الشمس ، سيذكر هذا المحبوب !! سيقدم الأضاحي والقرايين ... سبعة رجال ، وسبع إماء في أول كل شهر ... وسيطلي بالبياض أبواب المدينة ، ولبنات الأسوار ، ولن ينغص محبوبه !!

كلمات شعرية وصور أدبية تحمل كل مواصفات الشعر ، وتحتوي على قافية تتنوع كل عدة مقاطع ، وأل مضمونة في المقطع الأول ، وكاف مفتوحة في المقطع الثاني ، وقفل يتكرر كل عدة أسطر.

ان الافعال التي وردت في النص هي :

- (أصمّد ، أصمّدك ، يلبن - ينخص) وكلها أفعال مضارعة تدور في فلك الأكادية والعربية ..

أصمّد : فعل مضارع مرفوع . أصمّدك : اتصل بالكاف التي هي ضمير المخاطب .. أما يلبن وينخص : فقد اتصلت بأحرف المضارعة ، وتعود الى الغائب المفرد.

أما علامات الاعراب فهي متطابقة تماماً مع العربية ، لناخذ الامثلة التالية :

- علّ ابنيم صلميم : جار ومجرور ومضاف إليه .

- علّ بابي إنليل أبي إيلي : جار ومجرور ومضاف إليه ، وبدل .
- لابنم يلبن لبتم = ظاهرة المفعول به المنصوب .
- أصمّد لسانم : جمع مؤنث سالم .
- علّ زنبات :

أما ظاهرة المثني : علّ بابي إنليل ، فنلاحظ علامة التثنية ، وحذف النون للإضافة ، ونشير في هذا المجال ، ان ظاهرة المثني انقرضت في اللغات «السامية» التي سادت في الألف الأول قبل الميلاد ، وانحصرت في كلمات معينة (في الأزواج) . أما في لغة إبلا ، وفي لغتنا العربية ، وفي الأكادية في عهد (صارغون) فقد كانت هذه الظاهرة شائعة ، وهذا يقدم لنا أكبر دليل على قدم لغتنا العربية التي مازالت محتفظة بهذه الظاهرة إلى يومنا هذا .

وفي أدبيات إبلا ما يشير إلى أن قواعدها ونحوها وصرفها يجب أن يدرس في لغتنا العربية لأنها هي الأقرب إلى لهجة إبلا ، ليس من ناحية القواعد فقط ، كما مر معنا في نص «انشودة النجوم» وإنما أيضاً من حيث المعاني والدلالات المختلفة ، ولا اعتقد أن هناك - بشيء من الروية من لا يستطيع معرفة عبارة :

«علّ بابي إنليل أبي إيلي»

المقصود بها على بابي إنليل أبي الألهة .. إننا حينما نسمع مفردات لغة إبلا نحس بأننا نسمع لهجة عربية ، غير أن الصعوبة تكمن في المفردات السومرية التي كثر استخدامها في إبلا مثل عبارة :

كروش (GURUŠ) وحجر (NAH) وفؤوس (GIŠAL) وإماء (SIKIL) . وهذه العبارات تعرف بـ (اللوغوغرامات) ... إنها كانت معروفة لدى سكان إبلا ، غير أنهم ركبوها في تراكيب خاصة بالاسلوب الابلائي ، ولذا فإن من يريد التصدي لدراسة نصوص إبلا ، فلا بدله من معرفة أسرار العربية وقواعدها ، وحينما تتوفر هذه العناصر ، تتوفر مفاتيح تفسير هذه اللغة التي اختلف العلماء في تصنيفها ، وفي الأسرة التي تنتمي إليها³ .

ومن المفيد أن نشير إلى قراءة مماثلة قام بها الدكتور البيرفريد نقاش ، أستاذ اللغات القديمة في الجامعة اللبنانية - قسم الآثار ، لنص آكادي مماثل لانشودة النجوم الابلائية ، بعنوان «أخذة كيش» تلك التعويذة التي كتبت لاستئالة قلب امرأة من كيش ، إلى رجل يحبها ...

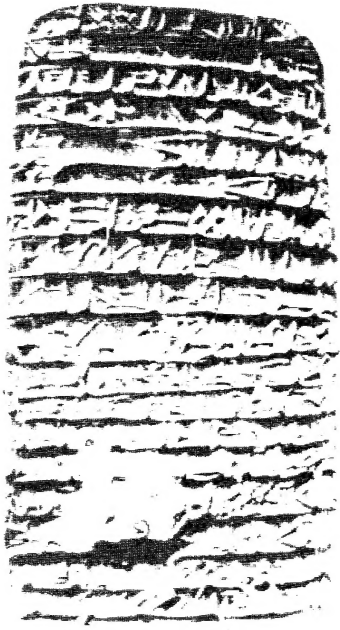
لقد قام الدكتور البير بقراءة النص مباشرة من الأكادية إلى العربية دون الاستعانة بوساطة لغة أخرى ، كما يفعل علماء الغرب ، وقد توصل إلى النص التالي :

«حيا يرأم اليرحم⁴
اليرحم ابن عشتّر قائم في المحراب
بيخور المرّ يتجلّى
البتولتان الحستان استشفعتا

2 - انظر حوار معي ، صحيفة تشرين السورية بتاريخ 22 / 1986 .



رسم توضيحي للوجه الأول من الرقيم المسامري لأخذة كيش .



أخذة كيش ، من اقدم النصوص الأدبية في العالم (2300 ق.م. - الوجه الأول من الرقيم المسامري) .

3 - انظر فصل الكتابة واللغة الابلائية .

4 - كلام قدسي : استحضر اليرحم ، وهو كائن شبه إلهي ، لا ذكر له إلا في هذا النص .

- 5- حث الرجل على استعطاف
اليرحم .
6- تأخير جسد المرأة .

* * *

خَفَقْتُ إلى كرم (الاله) سين وقطعتُ من غَرَبَةِ الفُرات
تمجيداً ذكرتي مدّة دهري ، يوماً بعد يوم .
كالرّاعي يطور الضّأن ، والعنزة جديها ، والشاة حملها ،
والأتان مهرها .

هَبَتَان يداهُ ، دهن وطيب شفتاه .

دهن الأرز اللائق في كفيه ، دهن الأرز اللائق في فؤديه

زَمَزَم اليرحم عليها ثم فتنها⁷ .

أَخَذْتُ فَكَّ الحبيب⁸ .

أقسمت عليك بـ (الإلهة) عشّرو (الإلهة) إشخر ،

ألا تنفّسحي قبلما زُورُهُ وزُورُكَ يَعْتَمِدَان⁹ .

من المرجح أن يكون كاتب النص أحد كهنة الإله (حيا) ولكن هذا لا يعني أن النص نجوى
ذاتية أو خبر عن الكاهن ، فالكلام فيه لا يجري على نسق واحد ، بل ينطوي على تنوع والتفات من
الخبر إلى الخطاب ، إلى الوصف الحسي بإسلوب أدبي بادي الزخرفة ، بين الإيقاع¹⁰
ويأخذ هذا النص قيمته من مقارنته مع «أنشودة النجوم» الابلائية المعاصرة ، وهذه إشارة أخرى إلى
وحدة الجوهر اللغوي بين اللسان العربي والآكادي والابلاني .

- 7- وصف اليرحم ودعوته إلى
الاستيلاء عليها .

- 8- تأخير فتنة فم المرأة .

- 9- الدعاء عليها بالانقباض .

- 10- أخذه كيش ، تقديم وتحقيق
البير فريد النقاش ، حسني
زينة ، منشورات شركة
المطبوعات والتوزيع والنشر -
بيروت 1989 . (ص 47 - 49) .



إبلا
كتابة
ولغة



رقم مسماري من إبلا عليه
كتابة يعود تاريخها الى الألف
الثالث قبل الميلاد.

لا نجافي الحقيقة اذا قلنا ان مشرقنا العربي القديم، كان مهد الحضارات الانسانية الاولى، وتعتبر الكتابة اعظم نتاج حضاري قدمه ابناء هذه المنطقة الى البشرية، وقد قدمت لنا الكثير من المواقع الاثرية في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين، ما يشير الى ظهور هذه الكتابة (المسمارية) في آواخر الالف الرابع، وأوائل الالف الثالث قبل الميلاد، وكان الشعب السومري هو الذي اوجدها، وله الفضل في انشاء حضارة تعد من الحضارات الاولى التي عرفها الانسان في تاريخه القديم.¹

كانت الواح الطين (الرقم) تشكل مادة الكتابة الرئيسية عبر التاريخ الطويل الذي عرفته الكتابات المسمارية، إذ استمر وجودها حتى عام 50 بعد الميلاد، فكانت تطبع عليها العلامات المسمارية، وهي لا تزال طرية، ثم تعرض للحرارة، او تشوى، حتى تجف وتصلب ويصعب تهشيمها. . . . وكان القلم الذي استعمل في طبع الاشارات المسمارية في بداية ظهورها مصنوعاً من الخشب، وذا رأس مثلث الشكل، دقيق المقدمة، ثم اصبح بعد ذلك غليظاً، بعض الشيء، واستمر كذلك حتى اختفاء الخط كله، ولما كانت الاشكال التي تظهر على الرقم تعكس شكل القلم المستعمل ذي الرأس المثلث، فتبدو كالمسامير، حتى في بداية الكتابة عندما كانت تصويرية، فان هذا الشكل هو الذي اكسب اسم «الكتابة المسمارية» او «الاسفينية» في العربية.

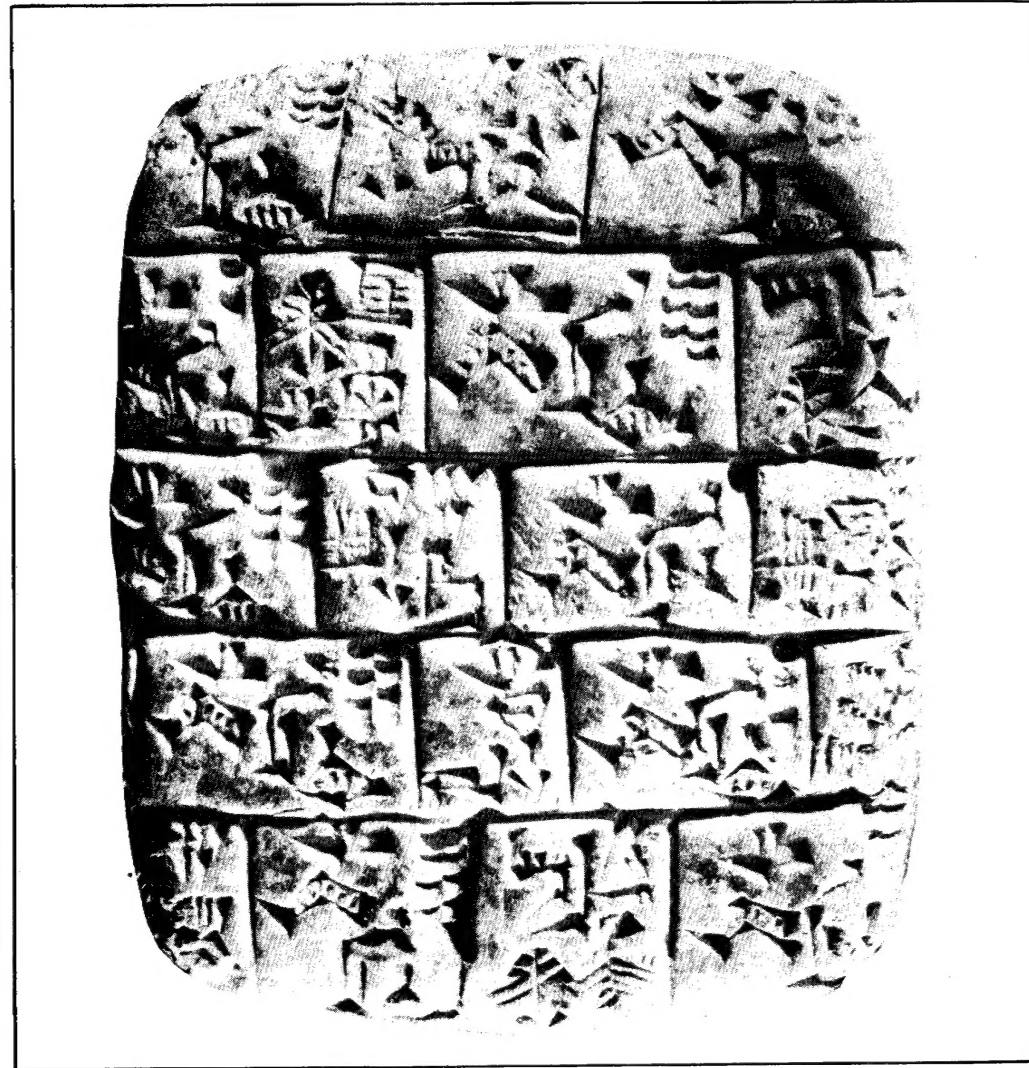
كانت البدايات الاولى للكتابة السومرية تصويرية، تعبر عن الاشياء، بصور تعكس شكلها الحقيقي، الا ان عدد تلك الصور لم يكن كبيراً، لانها جعلت للاشياء التي يندر استخدامها، مثل صورة الاسد، واثني الابل والماعز الجبلي. كما كانت تضم عدداً كبيراً من الصور المقتضبة التي تمثل الشيء الحقيقي باختصار ووضوح كاف، كأن ترسم رأس الحيوان لتدل عليه عوضاً عن رسم هيئة الحيوان بكامله.

ومن ثم ظهرت الرسوم التي بدأت تبتعد تدريجياً عن الصورة الاصلية فاصبحت الاشكال تبدو ابسط تكويناً، وتفقد صلتها الواضحة بالشكل الاولي المتقن، حتى اصبحت اشارات وعلامات، بل رموزاً، يدل كل واحد منها على صوت محدد، او اصوات قريبة من بعضها، وسبب ذلك كله يرجع الى استخدام القلم ذي الرأس المثلث الغليظ، الذي ما عاد يسمح برسم الخطوط المنحنية التي تشكل منها الكلمة (الصورة) فاضطر الكاتب الى رسم زاوية محل الخط المنحني بما تيسر من اشكال مسمارية، ومن ثم بدأ يقلل من هذه الاشكال المعقدة، وكانت النتيجة ان ضاع الشبه بين هذه الاشكال المتأخرة وبين الصورة الاصلية، وهذا تطور بديهي.²

1- ان البت في هذا الموضوع الهام، لم يزل موضوع جدل كبير بين علماء اللغات القديمة، فثمة من يعتقد ان السومريين اخذوا ايضاً من الرافديين قبلهم.

2- الابجدية، نشأة الكتابة وتطورها عند الشعوب، د. احمد هبو (ص 34-35).





رقم مسماري من مكتشفات
أرشيف القصر الملكي العائد إلى
فترة الازدهار الأولى في الألف
الثالث قبل الميلاد.

ونشير إلى حقيقة مفادها أن بعض الباحثين، يقومون بترجمة هذه الكتابات وفي أذهانهم التعرف على أحداث التوراة من خلال هذه المدونات القديمة، ومحاولة مطابقة هذه القراءات مع مجيء في التوراة، فيحملون النص أكثر مما يتضمن، وهذا ما حدث مع «بنتان» وقبله مع «فيرولو» وغيرهما، كما أن بعض هؤلاء لا يجيدون قراءة اللغة العربية، الابنة الشرعية لكل اللغات «اللهجات» القديمة، فيقعون في شرك تشويهاة الترجمة الأجنبية، وقد ثبت بما لا يقبل الشك الصلة الوثيقة، والتقارب الحميم بين لغتنا الحالية (لهجتنا) ولغتنا القديمة، وأن اللغة العربية بصورتها الحالية كافية لاستيعاب كل نصوص المدونات القديمة، دون مخافة التشويش أو التشوية.⁶

وهنا نصل إلى لب المشكلة... مشكلة اختلاط الأوراق في القراءات الأولية لرقم إسلا، والتأويلات الخاطئة التي تلاشت الآن بعد أن بينت الدراسات المستجدة، أن هذه اللغة التي دونت بها هذه المحفوظات الهامة النادرة، ماهي إلا لهجة أكادية قديمة، مازالت تحتفظ بأهم سمات لغتنا الأم...

أن الكتابة المسمارية المكتشفة في إسلا، سجلت أسطرها وفق المنحى العمودي، أي أن مقاطعها وكلماتها تتوالى من الأعلى إلى الأسفل على غرار الكتابات اليابانية والصينية. أما من حيث

لقد انتشر الخط المسماري على أيدي الأكاديين، الذين تسلموا الحكم زمن ملكهم (صارغون) في عام 2350 قبل الميلاد في جميع مناطق بلاد ما بين النهرين، وانتقل إلى عيلام وإلى بلاد الشام، فكتب به الحوريون والحثيون في آسيا الصغرى، كما كتب به المصريون مراسلاتهم مع ملوك المشرق العربي القديم في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد باللغة البابلية والخط المسماري، واستخدمه الآخمينيون (الفرس) أيضاً، وتأثر الآوغارييتيون بشكله رغم اختلاف كتابتهم من حيث المبدأ معه، ثم ما لبث أن تقلصت رقعة المناطق التي كانت تكتب به أثر سقوط (نينوى) عاصمة الآشوريين في عام 612 قبل الميلاد، واستمر في بابل إلى نهاية العهد السلوقي، أما تاريخ آخر كتابة مسمارية فيعود إلى منتصف القرن الأول الميلادي، ولا شك أن سبب انحسار الرقعة التي كانت مسرحاً للكتابات المسمارية أولاً، ومن ثم اندحارها وانقراضها هو ظهور الكتابات الأبجدية في منطقة المشرق القديم، وانتشارها السريع بين الشعوب المجاورة لسهولة كتابتها، وقلة عدد علاماتها، وميل الناس إلى استعمال الكتابة في أغراض مختلفة ومتعددة، غير الأغراض التقليدية القديمة ذات الصلة بالاقتصاد وأمور الحرب والدين.³

3 - المصدر السابق (ص 39).

أن المتتبع لمسيرة الكتابة المسمارية، يرى أنها كانت في البداية تصويرية رمزية، ثم أصبحت صوتية، وفي غالب الأحيان لم يعد فيها علاقة بين الصورة والصوت... فإشارة اليد كانت في الأصل ليد الإنسان، ولا تعني إلا اليد، وعندما أصبح لها قيمة صوتية (شو) لأن (يد) تسمى (شو) لدى السومريين، وأصبحت هذه الإشارة تستخدم لتسجيل صوتياً لكل كلمة فيها المقطع (شو)، وثمة ملاحظة يوردها الدكتور عدنان البني⁴ فيقول: «بصدد موضوع الكتابة المسمارية فإن إشارات الكتابة محدودة العدد، أما الأفكار فلا تقع تحت حصر، ولابد من التعبير بإشارة واحدة عن كل الأفكار القريبة من معناها الأصلي، فشكل القرص لا يعني الشمس فحسب، بل فكرة النهار وفكرة الضياء وفكرة البياض... ولما كان كل من هذه الأفكار له اسم مختلف، فإن إشارة القرص الأصلية قد أصبح لها قيم صوتية جديدة... ومن هنا فإن إشارات الكتابة المسمارية يمكن أن تعبر عن أصوات عدة تصل أحياناً إلى خمسة عشر أو عشرين. وبالمقابل فإن لفظة واحدة تعطي في لغة من اللغات معنيين أو عدة معان، وفي الكتابة رمزية كالمسارية السومرية نجد المعاني المشتركة لفظياً لا بد أن يكون لكل منها إشارة خاصة وبالتالي، فإن العديد من الإشارات تدل على لفظ واحد... ولما كانت الكتابة المسمارية وضعت أصلاً لتسجيل لغة مدغمة ملصقة أو مدغمة كالمسومرية، وهذا يلائمها، فلما اقتضت على الأمور الدينية، وحلت محلها اللغة الأكادية في بلاد ما بين النهرين، وبلاد الشام، وماجاورهما، وكتبت الأكادية بالمسارية السومرية، حصلت صعوبات جديدة في الكتابة المسمارية، لأن الكتابة السومرية، بالأصل غير مؤهلة تماماً للتعبير عنها، فالأكادية كالعربية بعض حروفها لها حالات في اللفظ (كالتاء والطاء والثاء والصاد والظاء والسين والشين) ولا تفرق الإشارات المسمارية بينها.

في هذا الصدد يقول «بول غاريللي»: إزاء هذه الطريقة المعقدة في الكتابة كان لابد للباحثين الأوائل من أن يضلوا سواء السبيل، وما أن يتوصلوا إلى معرفة قيمة أو لفظ إشارة من الإشارات في أحد الأسماء، حتى يتضح لهم أن هذه الإشارة تقرأ بشكل مغاير من اسم آخر، الأمر الذي لابد أن يزرع الشك بالنسبة لقراءة الاسم الأول.⁵

5 - المصدر السابق (ص 26-25).

توالي الاسطر نفسها فهي تتوالى من اليسار نحو اليمين، وهذا يعني ان الكتابة الابلائية المسطورة على احد التماثيل او النصب او اللوح، انما تقرأ ابتداءً من الطرف الايسر المقابل للعين اليسرى، ومن الزاوية العليا نزولاً في قراءة المقاطع شاقولياً، ثم البدء بقراءة السطر العمودي التالي من جهة اليسار ايضاً بما يحاذي السطر الاول، وقد تتم قراءة الاسطر، كما كتبت في هذه الكتابة وزمرتها المسارية ولاسيا السومرية، وفق الخطوط المنكسرة التي تتوالى من الاعلى الى الاسفل، فالى الاعلى فالاسفل دون انقطاع، وفي وضع شاقولي، وفق اشعة البرق او (زيك - زاك) ⁷. وهذه الكتابة التي اطلق عليها اصطلاحاً (الابلائية) نرى انها قد دونت وفق ماكانت عليه سائر كتابات المشرق العربي القديم، في الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد باستثناء الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية التي اعتمدت الطريقة التصويرية، اي الرمز للمعاني بوساطة صور هيئاتها) ⁸.

ويشير باولوماتيه بهذا الخصوص: ⁹ ان كافة النصوص الوثائقية المكتشفة في (G) في تل مردوخ، قابلة للتأريخ بين 2400 - 2250 قبل الميلاد، وباستثناء المفردات السومرية فان كافة النصوص مكتوبة باقدم لغة سامية (شمالية غربية). ونحن نطلق على هذه اللغة اسم اللغة الابلائية، تبعاً لمدينة إبلا التي وجدنا فيها الوثائق نفسها، هذا وكانت اللغة الابلائية تستخدم الاشارات السومرية في مجالات واسعة، كما هي الحال في اللغة الأكادية القديمة، ومن المؤكد ان اللغة الابلائية كانت لغة البلاط الملكي في إبلا 2400 قبل الميلاد ولكن هذا لا يعني انها قد ولدت في 2400 قبل الميلاد بل لابد انها تركت ماضياً من التراث الادبي اقدم من هذا التاريخ بكثير.

لغة إبلا:

ولكن ماذا عن لغة إبلا؟! بعد مرور اكثر من عشر سنوات على الضجة الاعلامية التي اثيرت حولها، ومحاولة بعض الاقلام المأجورة تسخيرها لخدمة اغراضها الدينية...

بداية نشير الى ان لغة إبلا لم تكن واضحة لدى اكثر العلماء الذين اطلعوا على رقمها الكتابية، فجعلها «جيوفاي بتيئاتو» وبعض العلماء في عداد زمرة اللغات الشمالية الغربية، تبعاً لموقع إبلا الجغرافي، مع الاعتراف بان هذه اللغة جديدة على قراءاتهم، اذ لم يسبق لرقم اخرى اكتشفت في منطقة المشرق العربي القديم ان تضمنتها، وفي البداية قام «بتيئاتو» بوصف هذه اللغة بـ«الكنعانية القديمة» ثم اقترح ان تنسب الى إبلا نفسها وان تسمى منذ اليوم بـ«اللغة الابلائية» وهذه اللغة او اللهجة الكنعانية تنتمي الى الارومة «السامية» وفق التصنيف اللغوي التقليدي لمجموعة لغات المشرق القديم عامة.

وهناك من اكد على خصائص لغة إبلا المشتركة مع اللغة الأكادية التي تكلم بها الأكاديون في منطقة بلاد ما بين النهرين قبل اليوم، بنحو خمسة آلاف سنة، وما تجدر ملاحظته ان هذه اللغة الابلائية (الكنعانية الداخلية) سبقت في ظهورها تلك اللغة الفينيقية (الكنعانية الساحلية بما يقارب الف سنة... ¹⁰

ولكن ما ان تعمق بها الدارسون حتى وجدوا انها اقدم لغة عربية، فهي مشابهة للأكادية التي ظهرت أولاً في عهد صارغون الأكادي، ثم هي اصل الكنعانية، ولكنها اقدم من الاولى بجيلين،

7 - إبلا، منعطف التاريخ، د. عمر الدقاق، نقلًا عن بحث مترجم لباولو ماتيه (ص 51).

8 - المصدر السابق (ص 52).

9 - إبلا، اقدم مملكة عامرة، في سورية، ترجمة: قاسم طوير (ص 20).

10 - إبلا، منعطف التاريخ، مصدر سابق (ص 43 - 44).

وهذه اللغات هي لهجات متنوعة للغة واحدة، او لاسرة من اللهجات، اطلق عليها خطأ اسم «الاسرة السامية»... وقد اصبح من المفضل ان يطلق عليها اسم (الاسرة اللغوية العربية) ذلك ان مفهوم السامية متناقض في التوراة، بعيد عن العلم والاثبات في التاريخ، اما كلمة (عرب) فهي تعني سكان هذه المنطقة الذين كانوا يتكلمون هذه اللهجات المختلفة، و تربطهم طبيعة واحدة، وحضارات متشابهة معاصرة لبعضها، ويتفاعلون مع بعضهم باستمرار عن طريق التجارة والهجرة والحروب ¹¹.

حول هذا الموضوع، يقول الدكتور عفيف بهنسي: ¹² ان العلاقة بين اللغة القديمة (الأكادية - الابلائية - الكنعانية) وبين اللغة العربية ظاهرة وواضحة، بل انه من الخطأ ان ننطق الالفاظ القديمة بحسب نطقها العبراني، ولذلك لان اللغة العبرانية خليط، اما اللغة العربية فهي صرفة والالفاظ الدخيلة فيها معروفة بوضوح.

ويوضح المشكلة التي تنشأ عن عدم الاعتماد على اللغة العربية بالامور التالية:

- 1 - عدم العثور على كثير من معاني الالفاظ القديمة، او سوء ترجمتها.
- 2 - عدم التمكن من نطقها جيداً، نظراً لان اكثر الحروف غير مشترك مع اللاتينية والعبرية، بل هو مشترك بوضوح مع العربية مثل (ق - غ - ع). وقد عرض العالم الآثاري بيلو فرانزا رولي، ¹³ فقال:

ثمة صعوبات نواجهها في دراسة لغة إبلا، ففي غالب الاحيان نجد طريقة الكتابة في الالف الثالث قبل الميلاد، تتيح المجال لقراءة مزدوجة للكلمة الواحدة، اذ يمكن أن تقرأ الكلمة هكذا وهكذا... لكن الصعوبة الكبيرة تظهر لدى محاولتنا معرفة دلالة الكلمات، فاذا اخذنا على سبيل المثال الاسم (ايبلول - ايل) الذي يظهر في نصوص إبلا ايضاً على اساس انه اسم لأحد ملوك ماري.

نجد ان الاستاذ جيلب يرى في كلمة (ايبلول) مشتقة من كلمة (بالالوم) ومعناها (يصب - يسكب)، بينما يرى الاستاذ روبرتس - ان الكلمة تعني (خلط - مزج). اما الاستاذ «ادزارد» فيقرأها (يبلول) ويترجمها الى (سبق - تقدم).

ومع ضرورة الاشارة الى تزامن اللغة الابلائية مع الأكادية ومع الأمورية، غير ان فرانزا رولي يؤكد ان بعض الاسماء الابلائية ليس لها مثيل للمقارنة في الأكادية والأمورية، وان بعض الاسماء والمفردات الابلائية لا تزال حية - حتى الآن - في اللغة العربية، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الوحدة بين اللغة الابلائية، واللغة العربية الحديثة مازالت قائمة، على الرغم من مرور ما يقارب خمسة آلاف سنة.

ويعرض لنا فرانزا رولي قائمة كبيرة بهذه المفردات الحية، نورد بعضاً منها نظراً لاهميتها:

شرشوم: (شرش) - (خيرتوم): (الاخير) - نصاروم (ناظر)، بيتوم: (بيت) - تهاماتوم: (تهامة - بحر) - ملكتوم: (ملكة) ملكوم (ملك) - موليتوم: (مولدة - قابلة) كوكاباتوم: (كوكب) -

11 - مجلة الفكر العربي، العدد الثاني والخمسون آب السنة التاسعة (ص 92 - 93).

12 - وثائق إبلا، (ص 142).

13 - استاذ اللغات السامية في جامعة فلورنسا، عضو الهيئة الدولية لدراسة نصوص إبلا.